نظرية الامن الاسرائيلية، كلّما تطلب الأمر ذلك.

وعلى الرغم من النجاحات التي حققتها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في معظم الحروب التي خاضتها ضد الجيوش العربية، فقد ثبت للاسرائيليين ان حروبهم ضد الدول العربية لن تحقق نجاحاً استراتيجياً. وان نجاح نظرية الامن الاسرائيلية لا يرتبط فقط بالنجاح في وضع الخطط العسكرية الملائمة لتجاوز عقدة المحافظة على البقاء المادي، بل في قدرتها على تحقيق معادلة «الأمن القومي» بمعناها الشامل، أي في القدرة على الاستمرار، والنمو، وسط البيئات المختلفة والتطوّرات المحتملة. فمشكلة الأمن الاسرائيلية ـ كما قال أحدهم ـ «ليست في تسليح الجيش... وانما هي في الاعتراف العربي بحقنا في السيادة والأمن. ومشكلة الأمن الثانية، هي في مستوى الدعم الاخلاقي والتعاطف الذي تشعر به الشعوب الديمقراطية، وفي مقدمها الولايات المتحدة، ازاء اسرائيل»[٢]. وبطبيعة الحال، فان مشكلة اسرائيل الأمنية هي في بنية الكيان الاسرائيلي ذاته، وما يحمله من مفاهيم التوسّع والعدوان التي تترجم في السياسة الأمنية الاسرائيلية بمصطلحات «الحدود الآمنة»، أو الحدود التي «يمكن الدفاع عنها».

نجاح تكتيكي وفشل استراتيجي

ان اعتماد مبدأ الهجوم كمركب أساسي من مركّبات النظرية العسكرية الاسرائيلية، النابع، أساساً، من نظرة دونية لعلاقات القوى القائمة، وطبيعة ارتباط اسرائيل، منذ انشائها، بالسياسات الاستعمارية في المنطقة، اضافة الى عوامل بنيوية ساهمت في تطوّر الكيان الاسرائيلي، وأهمها الأصول العسكرية لشريحة القيادة الاسرائيلية؛ كل تلك العوامل قادت، وتقود، اسرائيل الى عدم تحديد أهداف سياسية ـ استراتيجية واضحة لنظريتها الأمنية. وقد تؤدي سياسة وضع الخطوط الحمراء لما تعتبره مصالحها الحيوية الى حدّ تصل فيه تلك الخطوط لتشكل خليطاً غير متجانس من الاعتبارات السياسية، والجغرافية، والاقتصادية، وحتى الطائفية، تمتد الى طول منطقة الشرق الاوسط وعرضها؛ وقد تمتد، بعيداً، الى حدود الباكستان والهند على أطراف القارة الآسيوية.

وقد أدّى تكريس العقيدة الهجومية في المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الى درجة أصبح فيها الجيش الاسرائيلي «أسيراً لمبدأ الهجوم؛ وبدأت نظريته القتالية تحظى بظلال ' عبادة الهجوم' . وكانت النتيجة ان تطوّر في الجيش الاسرائيلي ' انعكاس هجومي' ، أي ميل كبير جداً، وجامح، الى العمل بصورة هجومية في كل وقت تجرى فيه عمليات [عسكرية]»[٣]. وهي حالة لا يعرف الفكر العسكري، عبر تاريخه الطويل، مثيلاً لها. فحتى المعركة الهجومية يجب ان تكون خليطاً من الدفاع والهجوم، لكي تكون معركة ناجحة بكل المقاييس العسكرية.

ويمكن القول، انه باستثناء بن ـ غوريون، الذي حدّد أهداف الحرب، وحدّد جدول الأولويات لجهاز الأمن وهو تأمين البقاء المادي للدولة، فان ورثته لم يبلوروا توجهاتهم السياسية ازاء الأهداف التي يجب على الجيش الاسرائيلي تحقيقها، حيث يُترك للقادة العسكريين خيار واسع جداً، قد تكون، أو لا تكون، القيادة السياسية راغبة فيه. ولذلك، فان هدف احتلال مزيد من الارض، كمصلحة أمنية اسرائيلية عليا، قد يكلف الجيش الاسرائيلي، في ظروف أرض المعركة المستقبلية المشبعة بالعوائق والتحصينات والخطوط الدفاعية متعددة الطبقة في عمق الاراضي العربية، التي تدافع عنها أسلحة مطوّرة عالية الدقّة، ثمناً باهظاً لا يستطيع تحمّله في حالة حدوث صراع شامل يمتد الى فترة زمنية طويلة نسبياً.